

المناسبات الدينية ٠٩ : ليلة النصف من شعبان - السكينة.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٨-٠٢

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة :

السيد وزير الأوقاف ، الدكتور محمد عبد الستار السيد حفظه الله ورعاه ، سماحة المفتي العام للجمهورية ، وصحبهما الكرام ، السادة العلماء الأجلاء ، الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين ومشاهدين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### تطبيق سنة النبي الكريم تبعث السكينة في قلوب المؤمنين الصادقين :

نحن في ذكرى الخامس عشر من شعبان ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :  
(( وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قطُّ إلا شهر رمضان ، وما رأيتَه في شهر أكثر منه صياماً في شعبان ))

[ رواه البخاري ومسلم عن عائشة ]

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
(( ذاك شهر يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَحَبُّ أَنْ يَرْفَعَ عَمَلِي ، وَأَنَا صَائِمٌ ))

[ أحمد و النسائي عن أسامة بن زيد والإسناد جيد ]

ومن القواعد الأصولية في العبادات أن الأصل فيها الحظر ، فلا تشرع عبادة



### السكينة من ثمار العبادات

إلا بالدليل القطعي والثابت ، بينما الأصل في الأشياء المباحة أنه لا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت ، ونحن جميعاً حينما نطبق سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونتأسى بسيرته ، ونؤدي العبادات كما ينبغي ، ومنها الصيام نقطف الثمار اليانعة التي قطفها أصحابه الكرام ، وإحدى أكبر هذه الثمار تلك السكينة التي تنتزل على قلوب المؤمنين الصادقين ، فتجعل الواحد منهم وهو في الناس رجلاً ، وهو بين الرجال بطلاً ، وهو مع الأبطال مثلاً ، وشخصية المؤمن الفذة ذات الجانب العلمي ، والجانب الأخلاقي ، والجانب الجمالي ، إحدى دلائل إعجاز القرآن الكريم .

## السلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان على وجه الأرض :



ذلك أن المؤمن استجاب لنداء الفطرة ،  
واهتدى إلى سرّ وجوده ، وغاية وجوده ،  
فتوضحت لديه الغاية والطريق ،  
وعاش في معية الله ، ومعية رسله ،  
وأنبياؤه ، ومعية المتقين ، ونجا من  
عذاب الحيرة والشك ، إن السكينة  
وردت في القرآن الكريم في عدة آيات  
من أبرزها قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(سورة الفتح الآية : ٤ )

أيها الأخوة الكرام ، لا سعادة بلا سكينة ، ولا سكينة بلا إيمان ، سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة ، والسلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان على وجه الأرض ، لأن الله يعطي الصحة ، والقوة ، والذكاء ، والمال ، والجمال للكثير من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، والسكينة هي السمة الأولى للمؤمن ، هذه السكينة تزدهر بغير عون من المال ، بل بغير مدد من الصحة ، يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء ، هذه السكينة ليست ملك أحد يمسكها أو يرسلها ، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذا دفع ثمنها .

## الإيمان بالله و اليوم الآخر المصدر الوحيد للسكينة :

إن للسكينة مصدراً واحداً لا ثانياً له ، هو الإيمان بالله الذي يحمل على طاعته ، والإيمان باليوم الآخر الذي يمنع أن تؤذي مخلوقاً على وجه الأرض ، هذا الإيمان العميق الذي لا يكدره شك ، ولا يفسده نفاق ، والعمل بمقتضى هذا الإيمان ، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً وضيقاً ، واضطرباً ، وشعوراً بالتفاهة والضياع

هم المحرومون من نعمة الإيمان ،  
ويرد اليقين .  
إن هذه السكينة نفحة من السماء ،  
ينزلها الله على قلوب المؤمنين من  
الأرض ، ليثبتوا إذا اضطرب الناس ،



وليرضوا إذا سخط الناس ، وليوقنوا إذا شكَّ الناس ، وليصيروا إذا جزع الناس ، وليحلموا إذا طاش الناس ، هذه السكينة نور من الله ، وروح منه ، يسكن إليها الخائف ، يطمئن عندها القلق ، ويتسلى بها الحزين ، ويستروح بها المتعب ، ويقوى بها الضعيف، ويهتدي بها الحيران ، هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده ، منه تهب عليهم نسوماتها ، وتشرق عليهم أنوارها ، يفوح عليهم شذاها وعطرها ، ليذيقهم الله جزاء ما قدموا من خير ، وليرهم نموذجاً لما ينتظرهم من نعيد ، فينعموا بهذه النسومات بالروح والريحان ، والأمن والأمان ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة ، إنها جنة القرب ، إنها جنة السكينة، قال تعالى :

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

أي ذاقوا طعمها في الدنيا .

ما من نعمة تحجب معها السكينة إلا وتتقلب بذاتها إلى نقمة :



وجد الأنبياء السكينة في محهم

ما من نعمة تحجب معها السكينة إلا وتتقلب بذاتها إلى نقمة ، وما من محنة تحفها السكينة إلا وتكون هي بذاتها نعمة ، ينام الإنسان على الشوك مع السكينة فإذا هو مهاد وثير ، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هو شوك القتاد ، يعالج المرء أعسر الأمور ومعه السكينة فإذا هي هواده

ويسر ، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقة وعسر ، ويخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمن وسلام ، ويعبر المناهج والسبل وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكة وبوار .

هذه السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي زمان ومكان ، وفي أي حال ومآل ، ووجدها إبراهيم عليه السلام في النار ، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب ، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ، ووجدها موسى عليه السلام في اليم ، ووجدها



القوة والجاه بلا سكينة ينقلبان إلى بغي

أصحاب الكهف في الكهف حينما افتقدوها في الدور والقصور ، ووجدها نبينا عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ، والأعداء يتعقبونه ليقتلوه ، ويجدها كل مؤمن آوى إلى ربه ، يائساً ممن سواه ، قاصداً بابه وحده من دون كل الأبواب ، يبسط الله الرزق مع السكينة ، فإذا هو متاع طيب ورخاء وفير ، وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة ، ويمسك السكينة مع الرزق فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض ، وقد يكون التلف بإفراط واستهتار .

يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الدنيا ، ومصدر فرح واستمتاع بالخلف الصالح ، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ، ونكد ، وعنت ، وشقاء ، وسهر بالليل ، وتعب بالنهار . يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة ، ويمسك سكينته فإذا الصحة والعافية بلاء ، يسلمه الله على الصحيح المعافى ، فينقق الصحة والعافية ، فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ، ويزخر السوء إلى يوم الحساب .

ويعطي الله الجاه والقوة مع السكينة ، فإذا هي أداة إصلاح ، ومصدر أمن ، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر ، يمسك السكينة فإذا الجاه والقوة مصدرا قلق على فوته ، ومصدرا طغيان وبغي ، ومصدرا حقد وكراهية ، لا يقر لصاحبها قرار ، ويدخر بها للآخرة رصيذاً ضخماً من النار .

#### أسباب السكينة لدى المؤمن :



أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه هُدي إلى فطرته التي فُطر عليها ، وهي فطرة متسقة ، ومنسجمة ، ومتجاوبة مع نواميس الوجود الكبير كله ، ومع منهج الخالق العظيم ، فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووثام ، لا في حرب وخصام ، ومع من حوله في شفافية ومشاركة ، لا في وحشة وعداوة .

ذلك لأن في القلب شعناً لا يلمّه إلا الإقبال على الله ، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأُنس بالله ، وفي القلب حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفة الله ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاستماع عليه والفرار إليه ، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ، ونهيه ، وقضائه ، وقدره ،

والصبر على ذلك إلى يوم لقائه ، وفي القلب فاقة لا تسدها إلا محبته ، والإنابة إليه ، وصدق الإخلاص له .

**الأقوياء بإيمانهم واستقامتهم هم السعداء والضعفاء بشركهم وانحرافهم هم التعساء :**

أيها الأخوة الكرام ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه مجتمع المؤمنين الصادقين من سعادة، ووثام ، وحب ، وسلام ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون وهم على مشارف ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، ولكن واقع المسلمين يدمي القلب . أيها الأخوة الكرام ، القوة سمة أساسية في شخص المؤمن ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

**(( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ))**

[ أخرجه مسلم عن أبي هريرة ]

لذلك ينبغي أن نخاطب المؤمن وهو على مشارف شهر الصيام ، فنقول له : كن عضواً في جمعية الأقوياء ، ولا تكن رأساً في قطع النجاح ، قد تبدو ضعيفاً لأنك قبلت أن تكون ضعيفاً فحش كما تريد ، ولكن لا بد من أن تعلم أنه بإمكانك أن تصبح قوياً بإيمانك بالله ، وثقتك به ، وأن تتعافى من شعورك بالضعف الذي سببه الشرك



الخفي .

إن الأقوياء بإيمانهم واستقامتهم هم السعداء ، والضعفاء بشركهم وانحرافهم هم التعساء . واعلم أيها الأخ يقيناً أن الشيء الذي لا تستطيعه هو الشيء الذي لا تريد أن تكونه ، قوة الإيمان مطلب أساسي ، وإلا فلا قيمة للحياة من دون قوة في الدين ، وإن القوة مصدر للثقة، والثقة لا توجد إلا في قلوب المؤمنين ، وإذا أردت القوة الحقيقية فابحث وأنت في شهر الصيام عن قوة لا تحتاج إلى غيرها ، إنها قوة الله عز وجل .

إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، ويا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك ؟

## لغة الشكوى والاستجداء والتوسل لن تحقق لنا شيئاً لأننا نعيش في عالم الأقوياء :

إن الجبن ، والخورة ، والاستكانة ، والاستسلام ، والانهازامية ، والذل ، وجميع المفردات في قاموس الضعف مرفوضة في حياة المؤمنين الصادقين ، فأنت كائن لم تخلق لتكون مسلوب الإرادة ، بارد الهمة ، تأمل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( اللهم وأعوذُ بك من العجزِ والكسلِ ، وأعوذُ بك من البخلِ والجبنِ ، وأعوذُ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجالِ ))

[أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري ]

## كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء؟؟؟



ولكن أيها الأخوة ، كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء ؟ إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو إلى السكوت عليه ، بل هو دعوة للاستشعار القوة حتى في حالة الضعف .

إذاً يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ،

ولصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد الجبال ، وتلك الحصون ، كما ترون وتسمعون ، أنت قوي ، هذا سرّ ضعفك ، وأنت ضعيف هذا سرّ ضعفك .

لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية بقنبلة الذرية ، أي بتربية جيل ، واعٍ ، ملتزم ، ينهض بأمتة ، ويعيد لها دورها القيادي في الأمم .

يقول أحد علماء الغرب الذين اهتموا إلى الإسلام : " أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لا لأنهم أقوياء ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام ، ولكن بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر " .

وإذا عرجنا على الموضوع الساخن ؛  
موضوع فلسطين نقول لهؤلاء الذين  
يحاولون تهويد مقدساتنا : ولو علمتم  
أيها الطغاة ماذا قدمتم لدين الله ،  
وللمؤمنين من خير لم تريده ، لندمتم  
أشد الندم ، فنحن بسبب طغيانكم أكثر  
وعياً ، وأكثر تماسكاً ، وأكثر وحدة ،  
وأكثر تماسكاً بديننا ، وأكثر قرباً من  
ربنا ، وأكثر مقاومة لكم أيها الأعداء.



ولو أنفقنا المليارات الممليرة لما استطعنا أن نعريكم كما عريتم أنفسكم في حرب غزة فشكراً لكم ، لقد أعنتم شعوب الأرض على أن تكفر بكم ، لقد أحييتم فينا مفهوم الجهاد ، فكسرنا عصاكم الغليظة مرات ومرات ، ولا تنسوا أيها الطغاة أن لكل أجل كتاباً ، وأنكم قد اقترب أجلكم ، وأن تقريراً من حلفائكم يؤكد أنكم لن تستطيعوا أن تبقوا في فلسطين أكثر من عشرين عاماً قادمة . فاسمعوا قول الله عز وجل خالق السماوات والأرض :

﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

(سورة القصص)

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين